هوامش

بعد بضعة أسابيع على استئناف الرحلات الجوية الدولية، مطلع فبراير/شباط، استعادت أرصفة مقاهي مراكش حيويتها في أجواء ربيعية مشمسة، كما متاجر الملابس التقليدية والحلي التي يقتنيها السياح

في مدينة مراكش (فاضل سنّة / فرانس برس)

السياحة في المغرب

الضجيج يعود إلى أزقة المدن

عاد مروّض الأفاعي سعيد إلى مراقصتها بمزماره التقليدي، في عروض فولكلورية تجذب زوار ساحة جامع الفنا السياحية الشهيرة وسط مراكش، بسعادة غامرة، بعد أزمة خانقة بسبب الجائحة التي غيّبت السياح لعامين عن المغرب. ويقول باسماً، لوكالة فرانس برس: «كأنني أتنفس من جديد، يا لها من سعادة العودة إلى الساحة بعد أشهر قاسية»، ثم يراقص أفعى على أنغام موسيقى «الغيطة» الشعبية في بلدان المغرب العربي. وتُعد المدينة الحمراء، عاصمة السياحة المغربية، مؤشّراً على بدء تعافي القطاع، إذ عادت الجلبة والازدحام إلى أزقّة أحيائها العتيقة ومختلف معالمها التاريخية، فضلاً عن الملاهي الليلية التي تجذب الزوار من مختلف الآفاق.

خلال الفصل الأول من هذا العام، ارتفعت مداخيل القطاع السياحي بنحو 80 في المائة، مقارنة بالفترة نفسها من العام الماضي. وهو ما يَعِد «بآفاق أكثر إيجابية لعام 2022»، وفق توقعات حديثة لوزارة الاقتصاد والمالية. وفيما استقبلت المملكة 13 مليون سائح عام 2019، لم يتعدّ مجموع السياح الذين توافدوا إليها العام الماضي 3,7 ملايين شخص. علماً أن القطاع حيوي للاقتصاد المغربي، إذ مثّل 7 في المائة من الناتج الداخلي الخام في 2019. بعد بضعة أسابيع على استئناف الرحلات الجوية الدولية، مطلع فبراير/شباط، استعادت أرصفة مقاهي مراكش حيويتها في أجواء ربيعية مشمسة، كما متاجر الملابس التقليدية والحلي وتذكارات الصناعات التقليدية التي يقتنيها السياح عادة. لكن هذه الانتعاشة «لم تصل بعد إلى مستوى ما قبل الجائحة، ولو أن الوضع يتحسن منذ نحو شهر»، وفق ما يقول التاجر عبد الله بوعزي في أحد أسواق المدينة العتيقة، بعدما باع تذكارات لسائح أرجنتيني.

خلال الأزمة، اضطر عبد الله (35 عاماً) إلى التخلي عن تجارته ليعمل حارس أمن في إحدى الشركات، مثل جلّ العاملين في القطاع الذين عاشوا ظروفاً صعبة، ولا سيما العاملين غير النظاميين. ولتخفيف آثار الأزمة التي تفاقمت بسبب تعليق تام للرحلات الجوية بين نهاية العام الماضي وبداية العام الحالي، خصّصت الحكومة دعماً بملياري درهم (قرابة 200 مليون دولار) عبارة عن إعانات شهرية للعاملين في القطاع، لكنه لم يشمل سوى النظاميين منهم. ويتابع عبد الله: «كانت فترة صعبة، لكنني اليوم سعيد بالعودة إلى عملي»، مؤكداً بقوله: «أنا متفائل بالمستقبل». وخصصت الحكومة المغربية أيضاً دعماً بمليار درهم (نحو 100 مليون دولار) لأصحاب الفنادق. لكنهم يطالبون بإجراءات أخرى لتجاوز الأزمة، تتعلق على الخصوص بتخفيف القيود على دخول المسافرين إلى المملكة. ويوضح رئيس الفدرالية الوطنية للصناعة الفندقية، لحسن أزلماط، أن «القطاع استأنف نشاطه، لكن ذلك يبقى غير مكتمل»، بسبب الاستمرار في اشتراط حيازة المسافرين الجواز الصحي، بالإضافة إلى اختبار «بي سي آر» سالب لكوفيد لدخول المملكة. لكن الحكومة استجابت أخيراً لهذا المطلب، إذ أعلنت ليل الثلاثاء إلغاء هذا الشرط، وهو «ما من شأنه أن يشجع السياح الأجانب على المجيء. كان يجب أن يتخذ هذا القرار منذ مدة، لكننا نشكر الحكومة على كل حال»، كما علّق أزلماط. لكن هذه الإجراءات لم تمنع السائح الشاب نيك (29 عاماً) من السفر إلى مراكش، وبدا مستمتعاً «بسحر» مدرسة ابن يوسف، إحدى المعالم التاريخية للمدينة التي كانت على مدى قرون عاصمة «للإمبراطورية الشريفة». ويقول الشاب القادم من لندن، في زيارته الأولى إلى مراكش: «أنا مندهش لدقة التفاصيل المعمارية، افتقدت مثل هذه الرحلات لاكتشاف ثقافات أخرى». ويعود تاريخ المدرسة العتيقة إلى القرن السادس عشر في عهد الدولة السعدية. كذلك، يشاهد سياح في معالم سياحية أخرى حديثة مثل حدائق ماجوريل ومتحف إيف سان لوران الذي «يعد محطة أساسية» في مسار استكشاف المدينة المصنفة تراثاً عالمياً من منظمة يونسكو، كما يقول الشابان الصينيان تومي وكوكو القادمان من ألمانيا. ويضيفان: «إننا محظوظون للتمكن من السفر مجدداً، نحن سعيدان للغاية».

(فرانس برس)

باختصار

خلال الفصل الأول من هذا العام، ارتفعت مداخيل القطاع السياحي المغربي بنحو 80 في المائة، مقارنة بالفترة نفسها من العام الماضي

■■■

خصصت الحكومة المغربية دعماً بمليار درهم (نحو 100 مليون دولار) لأصحاب الفنادق، لكنهم يطالبون بإجراءات أخرى لتجاوز الأزمة

■■■

استقبلت المملكة 13 مليون سائح عام 2019، في حين لم يتعدّ مجموع السياح الذين توافدوا إليها العام الماضي 3,7 ملايين شخص

وأخيراً

«سِفر الاختفاء»... أو بعض النكبة

معن البياري

أمّا أنها مناسبة ذكرى نكبة فلسطين، في هذه الأيام، فيجوز أن تكون ذريعة لارتجال هذه المقالة عن روايةٍ صدرت في العام 2014، أطلّت عليها قراءاتٌ ومطالعاتٌ مجدّة، أجمع كاتبوها على تنويهٍ بها روايةً على ذكاءٍ في مبناها، وبلعبتها الفنية التي توسّلت بها مقولاتها ومرسلاتِها. إنها «سِفْر الاختفاء» (منشورات الجمل، بغداد، بيروت) لكاتبتها ابتسام عازم. ولكن الذريعة هذه ليست في موضعها تماما، فزمن وقائع الرواية لا يخصّ النكبة وحدها، وإنما يصل إلى سنة الربيع العربي، غير أن هذا قولٌ متسرّع، أو سطحيٌّ في نعتٍ آخر، فرواية زميلتنا في «العربي الجديد»، وإنْ جالت على غير محطّةٍ في فلسطين بعد نكبة 1948، تبقى من الأعمال السردية الفلسطينية التي اعتنت، جوهريا، بموضوعة النكبة، على صعيد سؤال الإسرائيلي الذي أعلن دولته في ذلك العام عن مستقبل هذه الدولة وناسِها، وعلى صعيد حماية الفلسطيني ذاكرة المكان الذي نهبه هذا المحتلّ. وبين الأمرين، ثمّة ما يمكن حسبانه اطمئنانا فلسطينيا إلى مستقبله، إلى عودة وطنه له، فيما الإسرائيلي يقيم على خوفٍ متوطّنٍ فيه، وإنْ زاد على كسبِه حرب ذلك العام كسبَه حرباً أخرى في ستة أيام في 1967. وتشخيص هذا الخوف، بتعبيراتٍ متعدّدةٍ، شاغلٌ مركزيٌّ في رواية ابتسام عازم، لمّا تبدى ليس من الفلسطينيين حاضرين في المكان فقط، وإنما أيضا عندما يختفون، عندما يصبح اختفاؤهم المفاجئ هذا مُفزعا، مُربكا، لا إجابات حاسمة توضِح أسبابه. ليس هذا حدثا منطقيا، ولا معقولا، وإنما ما اجترَحه فعل التخيّل عند الكاتبة التي أرادته في النصّ متّكأ يسوّغ، منطقيا هذه المرّة، أسئلة الحيرة والاضطراب المُقلقة التي يجد الإسرائيليون أنفسَهم غير قادرين على الإجابة عنها.

وهنا، في الوُسع أن توصَف «سِفْر الاختفاء» بأنها رواية قلق الإسرائيلي وسؤاله، وخوفه، لمّا كانت شخصية أريئيل، كاتب المقالات في صحيفة أميركية، مركزيةً في النص، وتمثيليةً في التعبير عن إقامة هذا القلق في الوعي الإسرائيلي العام، فهو اليساري الذي يجد جيش الدولة لا يمكن أن يرتكب عمليات تطهير، لأنه يلتزم بالقانون والقيم الإنسانية، وإنْ يحدُث أن يقع في أخطاء. وفي مقابل أريئيل، الفلسطيني علاء، صديقه أو زميله الذي يقيم معه في عمارة واحدة، وتجدهما في مساجلات بشأن الراهن والماضي والمستقبل. علاء ممتلئ بذاكرة تحتشد بارتباط بيافا، الأصل والمنبت، ليس وجدانيا فقط، وإنما أيضا ارتباطا بأرض وذاكرة أجيال. يستأنس بحكايات جدته (أم والدته) ومروياتها، وأحاديثها إليه قبل وفاتها، وهي التي بقيت في يافا، في عام التهجير والنكبة، وظلت تسأل عمّا دعا غيرَها إلى أن يتركوا يافا. كتب علاء عنها في دفتر مذكّراته، وبدا في هذا يحمي رواية ملمومة، قوية، عن الفلسطيني ومكانه، فيما رواية اريئيل مهترّة، متصدّعة، تزهو بجيشٍ أمكن له هزيمة العرب. يتابع الأخبار، ويسمع خطاب رئيس الوزراء في الكنيست، من الحاسوب، وهذا يقول إن ما حدث في 1948 كان «نكبتنا»، عندما «اضطررنا كأي جنودٍ في أي حربٍ أن نقتل بعضا منهم»، وعندما قُتل بعضُهم كان ذلك «مأساةً لنا نحن»، «فقلوبنا، لأنها رحيمة، ولأن جيشنا أخلاقي، نتعذّب حتى لقتل من يريدون قتلنا». ويواصل: «سمحنا لبقية العرب الذين أرادوا البقاء على أرضنا بسلام بالبقاء هنا، وإنْ رغبوا في العيش هنا، فعليهم أن يقبلوا العيش بشروطنا، وإلا فالحدود مفتوحة، بلا رجعةٍ، إلى دولهم العربية». .. هذا قولٌ متخيّلٌ، لكنه لا يخصم من فائض الحقيقي والواقعي فيه، والذي يجعل، في ظن صاحب هذه المقالة، أريئيل يستشعر خوفا من لوحةٍ معلقة على جدار غرفة علاء لشابّ ملثم بالكوفية الفلسطينية. يقيم في هذه الغرفة، كأنه تملكّها بعد اختفاء علاء، يقرأ دفتره الأحمر الذي سجّل فيه علاء بعض مذكرات، عن جدّته، عن يافا، فيحضر الفلسطيني فيها موصولا بالمكان وبالراهن، فيما يراها أريئيل «أحاديث المهزومين عن أساطير الماضي»...

لا يعود الفلسطينيون من اختفائهم، في قفلة الرواية المحتشدة بالمغازي، والمبنية على تناوب ضمائر المتكلمين، الغائبين والحاضرين. تنتهي بخوف أريئيل من «خرخشة» في خارج الغرفة، تجعله يقرر استبدال قفل الباب، ثم تنتهي بجملةٍ زادت النصّ غنى بمضامين ثرية عن نكبة فلسطين المستمرّة، تنتهي «والدفتر الأحمر مفتوح». ولا أظن أن ابتسام تزيّدت لمّا رأت أن دفتر معركة سردية الفلسطيني مع الإسرائيلي المحتلّ أحمر، .. ومفتوحٌ إلى أزمنةٍ بلا مدى.

> في الوُسع أن توصَف «سِفْر الاختفاء» بأنها رواية قلقَ الإسرائيلي وسؤاله وخوفه

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**